الأدب والفن في أسبوع

للاستاذ عباس خضر

في مناقشة رسالة جامعية

توقشت الرسالة المقدمة من السيدة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) للحصول على الدكتوراه في الأدب من جامعة فؤاد الأول يوم الخميس الماضي بكلية الآداب ، وكانت لجنة المناقشة مكونة من معالي الدكتور طه حسين بك ، وهو الأستاذ المشرف على الرسالة ، ومن الأستاذ ابراهيم مصطفى والدكتور زكي حسن والدكتور فؤاد حسنين والأستاذ مصطفى السقا .

وموضوع الرسالة « رسالة الغفران لأبي العلاء المعري — تحقيق ودرس » وقد بدأت السيدة صاحبة الرسالة بالحديث عن موضوعها ، فقالت إن ما حببه إليها واسترعى اهتمامها به هو الحياة الانسانية عند أبي العلاء ، وهي تتجلى خاصة في رسالة الغفران ، وذكرت جهدها في جمع النسخ المخطوطة ومقابلتها وتفسير ألفاظها والتعريف بمن جاء فيها من الأعلام وما ورد بها من الأماكن ، ثم بينت أهم الموضوعات التي تناولتها بالدراسة ، من دراسة حول النص ، والمعالم الكبرى في رسالة الغفران ، وموضوعات هذه الرسالة ، وخصائصها ، ومكانها من أدب أبي العلاء ، ومقارنة هذا اللون من الأدب بأشباهه في الأدب الأوربي . وما إلى ذلك .

والموضوع — كما ترى — خشن ... وخاصة تحقيق النص؛ فكان موضع العجب ومثار الإعجاب أن تنهض بأعبائه سيدة ويظهر أن قيامها بهذا العمل قد أغرى بها الأساتذة الممتحنين ، فاشتدوا في مناقشتها وحاسبوها حساباً عسيراً أشبه بمواقف الحساب في العالم الآخر الذي تحدثت عنه رسالة الغفران ... كما يظهر أن هذا الجهد العسير قد حملها على الاعتزاز به — قبل المناقشة والمحاسبة — فكانت تتحدث عنه مزهوة ولم تنتظر حكم الحكمين ولم تعبأ بكل ما قيل عن التواضع ومزاياه ... فانبرى لها معالي الدكتور طه حسين بك وسلقها على هذا المسلك ، ولكنها صمدت له ، وكان الظنون أن تنسحب باكية ، فكان صمودها موضع العجب ومثار الإعجاب مرة أخرى ، وظلت تلافي المكاره التي حفت بها « لجنة الدكتوراه » حتى ظفرت بها أخيراً بتقدير ممتاز

وقد بدأ الدكتور طه حسين بك مناقشته بالثناء على هذا العمل الأدبي الذي قامت به السيدة ، فوصفه بأنه عمل خطير ، قائلا : إنها قدمت نصاً محققاً مدرس الفهم قد بعد أشد البعد عن التشويه والاضطراب ، وقد كانت دراسة أبي العلاء مهملة لحمل عليه كثير من الأكاذيب ، وقد أحسنت بهذا العمل إلى أبي العلاء وإلى العلم . وقدمت إلى عالم الأدب خدمة جليلة تستحق عليها شكراً أي شكر وثناء أي ثناء ، وتغيرت نبرة معاليه في صوته المعبر وهو ينتقل من هذا الثناء ، فيقول : كل هذا لا شك فيه ، وإنما الشيء الذي فيه شك هو أنك تشعرين شعوراً قوياً بجلال العمل . وهذا أول ما نؤاخذك به من نقد ، فأنت أثرة مستأثرة جئت تلتمسين الموافقة على جهدك وقد وافقت أنت عليه من قبل ، ولم تنتظري التشجيع فشجعت نفسك بنفسك ، وأثنيت عليها ثناء مسرفاً ، وليس أبغض إلى الله من الثناء على النفس لما فيه من الرياء والغرور ، وكنت أحب أن تقبلي علينا متواضعة راضية ، بما قدمت من جهد منتظرة رأينا فيك وفي عملك ، وأنت لا تكتفين بذلك وإنما تهاجمين غيرك في الموازنة بين النص الذي تقدمينه وبين ما نشر قبله ، وكان يجب أن تتركي لنا هذا ، ولكنك تأبين إلا أن تتناولي النصوص مشنعة ، وليس التشنيع من البحث العلمي ، وإنما هو أقرب إلى الصحافة وإلى الصحافة المهوشة .. وعسى أن تكون خطورة هذه المسألة من أنك لم تنسي بعد ما يتصف به الطلاب الشبان من الطموح إلى التفوق والحرص على السبق وإرضاء الأستاذ فكأنك حريصة على أن تكوني الأولى كما يفعل التلاميذ في المدارس الثانوية . عقلك عالم ولكن خلقك شاب ، والشاب الذي لم يجرب هو الذي يريد أن يسبق . والنصيحة التي أقدمها اليك تنحصر في جملة واحدة قد أخذناها عن شيوخنا في الأزهر وهي : من تواضع لله رفعه .

وبعد ذلك لاحظ معاليه أنها تذكر كلمة « المنهج » مطلقة من غير إضافة لشيء كالجاسمة مثلا ، وخاطبها قائلا : ما دمت

حريصة على المنهج فتعالى أناقشك، ونناقشها فى عدة مسائل، منها أنها تحدثت عن سياسة العرب الاسلامية أيام رسالة الغفران من أفق عال من حيث التحدث عن الملوك والأمراء، وأهملت عنصر الحياة الشعبية والاجتماعية مع ما لهذا من أثر فى أدب ابى العلاء، كتشاؤمه الذى يرجع إلى اضطراب الحياة الاجتماعية واختلاف الطبقات. ومما ناقشها فيه قولها: إن أبا العلاء رجل محروم مكبوت، لأنه لما يئس من العفة تشاءم. قال الدكتور طه: إن أحدا لم يسىء إلى أبى العلاء كما أسأت إليه بهذا القول، هل كان أبو العلاء حريصا على الاستمتاع ثم زهد عن عجز؟ تقولين هذا ثم تدعين أنك تكبرينه، ولم تأت بنص واحد يثبت أنه كان حريصا على اللذات، لقد كان أبو العلاء يرى أن اللذات الكبرى هي التى لا ألم وراءها كان يرى الانسان حقيرا وحياته لا تستحق العناية، كان يقول:

ولم أعرض عن اللذات إلا
لأن خيارها عنى خفنه

لقد خدعك ما يكتبه الأوربيون عن الكبت والحرمان وقد سمعت فى مصر وفى الشام ما قيل من أن أبا العلاء حمل على المرأة لأنه لم يستطع أن ينالها، وهذا ليس من الإكبار لأبى العلاء فى شىء.

وأذكر أنى قرأت هذا الرأى الذى أشار إليه معالى الدكتور طه حسين بك، فى كتاب «رأى فى أبى العلاء» للاستاذ امين الخولى، وقد سمعت ما قاله الدكتور فى تفنيده وتفنيد ما جاء متصلا به فى الرسالة موضوع المناقشة، فلم تقتنع نفسى بهذا التفنيد، لأن تحقير أبى العلاء لذات الحياة لا يمنع أن تكون رغبته فيها كامنة، ولا أقول بأنه يرائى، إنما كان تحقيره قائما فى شعوره الظاهر على سطح ما استتر فى غريزته، وعلى ذلك ليس من الممكنات الإتيان بنص يثبت حرصه على اللذات، وليس ما يقوله فى الزهد والإعراض عنها دليلا على عدم رغبة فيها فهذه الرغبة لما كبتت ولدت النفور. ولست أدرى لماذا لا نأخذ فى هذه المسألة بما يكتبه الأوربيون عن الحرمان والكبت والشعور الظاهر والعقل الباطن.

ولولا أن صوت الدكتور طه حسين معبر لما وقعت عند ذكره الصحافة فى مقابل البحث العلمى. ولست أريد أن

شكوى الأسبوع

□ يزمع معالى الدكتور طه حسين بك القيام فى أوائل مايو القادم — برحلة ثقافية إلى إيطاليا، تشمل إلقاء محاضرات عن الأدب العربى بجامعة روما، وقد يقوم بعد ذلك برحلة أخرى إلى اسبانيا حيث يفتتح معهد فاروق للدراسات الاسلامية بمدريد.

□ تتجه النية إلى تعيين هيبه التدريس فى كلية دار العلوم بعض أبنائها البارزين فى الميدان الأدبى، سداً للنقص الملحوظ فيها الآن بعد أن نقدت فى السنوات الأخيرة كبار أساتذتها إما بالنقل أو بالإحالة إلى المعاش، كما أريد أن يختار لها عميد يرجى لها الازدهار على يديه، وقد تلقى أولياء الأمور رسائل كثيرة من الطلبة والخريجين يطلبون فيها إعادة العميد السابق الأستاذ ابراهيم مصطفى.

ونظراً لما لكل ذلك، ولما لمكانة الأستاذ العلمية والجامعية، قرر مجلس الجامعة مدخدمته ثلاث سنوات وإعادته إلى عمادة الكلية، بعد أن انقطع عنها منذ اكتوبر الماضى. وقد رفع ذلك القرار إلى مجلس الوزراء للنظر فيه رجاء الموافقة عليه.

□ منع مراقب الإذاعة يوم الأحد من الأسبوع الماضى — إذاعة قصيدة «من الأعماق» للأستاذ محمود أبو الوفا. ثم نشرت القصيدة فعلا فى مجلة الاذاعة هذا الأسبوع، والمتبع أن تنشر هذه المجلة ما يذاع، ولكن فيم كان منع الإذاعة ثم النشر بالمجلة؟ ترى لم تعترف المجلة بذكاء المراقب العام وعلمه الواسع..

□ قال الأستاذ محمود أبو الوفا فى نظام الأزهر الحديث مع بقاء الكتب القديمة:

فما النظام وتلك الكتب باقية ... إلا كوشى على أثواب أسمال

□ والبيت من قصيدة «لم يبق والحى» وهى فى ديوان «أنفاس محترقة»

□ ألقى عميد المسرح العربى الأستاذ زكى طليمات كلمة بنقابة الصحفيين عن المسرح المصرى فى وفد الصحفيين البلجيكيين، قال فيها:

أصبحت المسرحية من أهم ما يعنى به كبار الكتاب عندنا وهم يحاولون أن يجعلوا من التمثيل شعبة من الأدب العربى المتجدد.

□ قال أبو الفتح كشاجم يهجو مغنياً:

ومغنى بارد النغـ ... ـمة مختل اليدين
ما رآه أحد فى ... دار قوم مرتين

قال المبتلى بسماع مطربى الإذاعة: إلا فى دار الإذاعة المصرية فانه يرى فيها دائماً!

أن أعرض لما عساه أن يكون قد قصده من أن اشتغال صاحبة الرسالة بالصحافة غلب عليها فى جزء من دراستها وهو الخاص بالطعن والتشنيع على من سبقوها فى تحقيق رسالة الفقرات ، ولكنى أقول إن فضل الصحافة فى تقديم الأدب إلى الناس لا ينكر ، وإن قسما كبيرا جدا من إنتاج أدبائنا وخاصة كبارهم رآه القراء أول ما رأوه على صفحات المجلات والجرائد ، وأقول أكثر من ذلك : إن كل أدبائنا الكبار منسوبون إلى الصحافة وقد كاد العميد الكبير أن يكون نقيب الصحفيين كما يعرف القراء مما جرى فى آخر عهد الوزارة السابقة ، ولعل اسم معاليه لا يزال إلى الآن مقيد فى جدول المصحفيين .

لم هذا الشعر الرمزى ؟:

فى عدد ابريل الحالى من زميلتنا مجلة « الكتاب » كلام للدكتور بشر فارس ، عنوانه « الشاطىء الحافل » وأوله:

أنا السيد الأعلى للشاطىء الحافل
إليه من مواغل الأرض تقبل الضمائر
ذوات الرغبات الخساس
عاجزات ، غيارى
فتموت .

وقد كتب تحت العنوان (شعر) لكى يلقى القارىء باله إلى أن هذا الكلام شعر ... أو لكى يزول عنه الشك فى أنه شعر وإن كانت هذه الكلمة غير كافية لإزالة الشك ، فلا أقل من أن يقال : والله العظيم إنه شعر ! وقد علق عليه الأستاذ عادل الغضبان بكلمة أنكر فيها نسبة هذا الكلام إلى الشعر ، حتى الشعر الرمزى القائم على التعريض والكناية ، فعقب عليه الدكتور بشر بأن الرمز عنده ليس بالتعريض والكناية ، بل هو « إبراز المضمر واستنباط ما وراء الحس من المحسوس وتدوين اللوامع والبواده » وماذا يعنى ؟ والله أعلم ! خذ مثلا « إبراز المضمر » هل أبرز فى ذلك « الشعر » مضمرا ؟ ألست تراه — على العكس — زاده إضمارا على إضمار ؟ وأنا أفهم أن ما يقع عليه الحس هو المحسوس ، أما ما وراء الحس فكيف يكون محسوسا ؟ وأما « اللوامع والبواده » فكل شاعر يدونها ، ولكنه كلام غريب ! والمطلوب أن يدهش وأن تصرف غرابته عن طلب ما وراءه !

أقصد بعد ذلك إلى الأستاذ ابراهيم الأبيارى الذى كتب فى نفس العدد مقالا بعنوان « الرمز فى الشعر العربى » وغاية المراد هى الرمزية فى شعر الدكتور بشر فارس ، وقد « بدهنى » من هذا المقال أن الأستاذ الابيارى تحول فيه من الإغراب اللغوى إلى الإغراب بـ « اللوامع والبواده » . عرف الأستاذ « الرمزية البشرية الفارسية » بأنها « ومزية الصورة وهى أن ينعقد فكر الشاعر على حقيقة ما فيحيلها خيالا يختار له صورة تتفق ومعناه ثم يذهب يضم إليها ما يشبع نواحى تلك الصورة المتخيلة إشباعا » وكل شاعر ينعقد فكره على حقيقة يحيلها خيالا يصوره ويشبعه إشباعا ، فما الجديد ؟

وليقل الاستاذ الابيارى ما يقول ، ولينجز ما وعد أو توعد به من إطالة الحديث فى هذا الباب والتقعيد له . . إنما أريد أن أقف معه إزاء « الشاطىء الحافل » أو « الشاطىء الحافى » كما ينبغى أن يقال ليكون أشد إمعانا فى الرمزية ! ولننظر فى الفقرات السابقة التى نقلتها من أول « القصيدة » ما هى الحقيقة التى انعقد عليها فكر الشاعر .. الخ ؟ ولنفرض أننا استطعنا — بعد الكد وحمل النفس على مالا تستطيب — أن ندرك مايرمى إليه القائل ، فما غاية هذا العناء ؟ وما محصوله ! وهل فيه جمال من جمال الفنون !

اطالما أحمى الدكتور بشر فارس من أمثال ذلك « الشعر » — عفا الله عنه لحسن نيته ! — وأنا أقول له : إنى لا أفهم شيئا ، فيحاول أن يبين ، وكنت أحيانا أصل إلى أنه يريد شيئا ، ولكن لا أجد هذا الشىء يستحق كل ذلك الشقاء ، شقاءه وشقائى . . وقد رثيت لهذا الصديق الطيب وأشفقت عليه مما يعانيه ، ولكنى أرى المدوى تصل إلى صديق آخر طيب أيضا ، هو الأستاذ الابيارى ، وقد يئست من الأول ، وبقى لى أمل فى الثانى ، لعله يبين لنا الحقيقة والصورة وما أكلت منه حتى شبعت ، على أن يذكر فائدة هذا اللون من الكلام وهل فيه ما نطلب فى الشعر من متعة فنية ، أو هو كلام غير مألوف والسلام ...

سكاية أديب :

« طالعت فى كشكولك الأسبوعى قولك (إن الأدباء هم

الطائفة الوحيدة التي ليس لها شمل ملتئم ، وهم في البلد الذي تنال فيه الحقوق بقوة الجماعات) ولقد أثارني هذا القول ، فإن جريدة الأهرام – كما قد تعلم – أخرجتني من وظيفتي بوزارة المعارف لأتفرغ للتحرير فيها ، ثم تخلت عني دون مبرر ولا موجب ، فلجأت إلى نقابة الصحفيين – وأنا عضو فيها – ولكن النقابة لم تنصفني ، بل ولم تأذن لي بمخاصمة الجريدة المذكورة، فهل رأيت في الدنيا موقفاً أعجب من هذا ؟! لبثت قضيتي مطروحة على مجلس النقابة أكثر من ستة أشهر ، حتى لم يعد في قوس الصبر منزع ، وأخيراً لجأت إلى القضاء مطالباً جريدة الأهرام بتعويض مقداره خمسة آلاف جنيه وسوف تعرض الدعوى على محكمة الأسكندرية الابتدائية في ١٦ ابريل . فأين يا أخي عباس الطائفة التي تدافع عن الصحفيين بعد أن خذلتني نقابة الصحفيين التي أدفع اشتراكها السنوي وأقوم بالتزاماتها جميعاً ؟! »

منصور جاب الله

هذا بعض رسالة تلقيتها من الأديب الفاضل والصديق الكريم الأستاذ منصور جاب الله . وأنا حقاً أعلم قصته مع « الأهرام » وهي قصة يعرف مطلعها القراء ، من مقالاته وتحقيقاته الصحفية ، التي تدل على الاطلاع الواسع والذوق المصقول . وقد كان يوالي الكتابة بالأهرام وهو موظف ، وكان المغفور له أنطون الجميل باشا يعرف قدره، وقد طلب إليه في سبتمبر سنة ١٩٤٧ الانقطاع للتحرير بالجريدة ، وكان الأستاذ منصور حريصاً على الإقامة بالأسكندرية للاءمة جوها لحالته الصحية ، فاتفق معه على أن يكون محرراً مقيما بالأسكندرية ، وعلى ذلك استقال من الوظيفة الحكومية ، وظل يراسل الأهرام ويكتب إليها من هناك . وفي نوفمبر سنة ١٩٤٨ أصدرت الجريدة إليه أمراً بالانتقال إلى القاهرة وإلا عد معزولا ، فلما اعتذر بأن هذا مخالف للاتفاق انقطعت عن موافاته بمرتبه ثم قررت فصله .

وأنا لا أريد أن أتعرض للأمر من الناحية القضائية ولا من ناحية النقابة، وإنما أنظر إليه من الناحية الأدبية بالنسبة إلى الصحيفة الكبيرة ذات الماضي النبيل في معاملة محرريها وسائر موظفيها وبالنسبة للأستاذ منصور الذي خدمها متطوعاً وضحى بوظيفته ليكون من جنود صاحبة الجلالة بها ، وإذا هو أخيراً يجد نفسه على قارعة الطريق..

ما كان ضر الأهرام لو أبقته يوالي عمله بالأسكندرية كما كان ؟

رأيت شعري كيف يضيق صدرها الواسع بكاتب مثل منصور جاب الله ؟ لقد عرفنا الأهرام مثالا لحسن المعاملة وتقدير العاملين بها ، وكان يضرب بها المثل في ذلك بين الصحف ، فماذا جرى ؟ ما كان ينبغي قط أن يصل الأمر بينها وبين أحد لا إلى النقابة ولا إلى القضاء .

ولقد ترددت في إثارة هذا الموضوع هنا ، ولكن الكاتب الأديب الأستاذ منصور جاب الله في محنة . ومن حقه أن يرفع صوته بالشكوى .

عباس خضر

تاريخ الادب العربى

للاستاذ حمد حسن الزيات

يؤرخ الأدب العربي من عصر الجاهلية إلى هذا العصر بأسلوب قوي ، ومستيعاب موجز وتحليل مفصل واختيار موفق ومقارنة بين الأدب العربي والآداب الأخرى

طبع اثنى عشرة مرة في ٥٢٥ صفحة

وثمنه أربعون قرشاً عدا أجرة البريد